سلسلة محاضرات علمية (١)

قواعد أهل السنة في الأسماء والصفات

أ.د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي

أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية
بالمدينة النبوية

الشيخ لم يراجع التفريغ

هذه المادة عبارة عن حلقات بثت في إذاعة القرآن الكريم

النسخة الأولى

سلسلة محاضرات علمية (١)

قواعد أهل السنة في الأسماء والصفات

أ.د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي

أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية

بالمدينة النبوية

الشيخ لم يراجع التفريغ

هذه المادة عبارة عن حلقات بثت في إذاعة القرآن الكريم

النسخة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان، أمَّا بعد:

فإنَّ مما لا شك فيه أنَّ العلم بأسماءِ الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته من أشرفِ العلوم وأهمِّ المطالب، ويَظْهَرُ شَرَفُ هذا العلمِ وأهميتِه من خلال أمور عدة، أذكرُ منها ما يأتي:

۞**أولاً**: أنَّ شرف العلم -كما قالوا- بشرف المعلوم، والباري سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أشرفُ معلوم، إذاً فالعلم به وبأسمائه وصفاته أشرفُ العلوم، والله أكبرُ من كل شيء، إذًا فالعلم به أكبرُ من كل علم؛ بل كُلُّ العلوم والمعارف تبعٌ لهذه المعرفة، أي معرفة الله عَزَّوَجَلَّ مرادة لأجلها، ومن عرف الله عرف ما سواه، ومن جهَل ربه فهو لما سواه أجهل.

۞**الأمر الثاني**: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أَمَرَ بالعلم بأسمائه وصفاته؛ فكمْ في كتاب الله من الأمر بهذا العلم، ألم يقل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٤]، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾[البقرة:٢٣٥]، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[البقرة:١٩٦]، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:١٩٤]، ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة:٢٠٩]، **وقد تأملتُ هذا الأمر في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ فوجدته في أكثرَ من عشرين موضعاً**؛ (**اعلموا**) **فعل أمر**، وفعل الأمر يقتضي عند أهل العلم: الوجوب.

إذًا يجب علينا أن نعلم هذه النعوت الجليلة، والصفات العظيمة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وينبغي أن يُلحظ هنا أمرٌ ألا وهو أنَّ هذا الأمر -العلم بأسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته- دليل على أن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يحب منّا أن نعرف أسماءه وصفاته وإلا لما

أمر بذلك؛ فإنّ كل ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به شرعاً فهو يحبه؛ فهذا يدل على أنَّه يحب منّا أن نعرف أسماءه وصفاته جَلَّوَعَلَا.

۞أمرٌ ثالث: يدل على هذه الأهمية أنَّ هناك حاجةً نفسية مُلِحة لمعرفة الله عَزَّوَجَلَّوأسمائه وصفاته؛ **فإنَّ العباد مفطورون على هذه المعرفة وعلى التشوف لهذا العلم**، ولو كُلِّف الإنسان أن يعبد ربًا لا يعرف عنه أي شيء لكان له في ذلك أعظمُ الحرج والضيق، لكنَّ الله عَزَّوَجَلَّ من رحمته عرّفنا شيئًا من أسمائه ونعوت جلاله؛ فَتَسْكُن النفس لذلك وتطمئن، بل إنَّ النفوس لو سلِمت فطرتها لعلِمت أنَّ حاجتها إلى معرفة ربها أعظمُ من حاجتها إلى الطعام والشراب، الطعامُ والشراب بهما حياة البدن؛ لكن معرفة خالقها ومعبودها جَلَّوَعَلَا؛ بها حياة القلوب، والإنسان بروحه وبقلبه لا بجسده.

۞أمرٌ رابع: وهو أنَّ **معرفة أسماء الله وصفاته تفتح أبوابًا عظيمة لعبوديات القلب والجوارح، والقيام بدعاء العبادة ودعاء المسألة**، كما أنَّها من أعظم أسباب زيادة الإيمان، وهذا الموضوع له تفصيلٌ طويل جداً، فإنَّ كل اسم لله عَزَّوَجَلَّ وكلُّ صفة له سبحانه لها عبودية تخصها؛ فهناك عبودية تتعلق باسم الله **(الغفور)** وصفة الله **(المغفرة)**، وهناك عبودية تتعلق باسم الله **(العزيز)** وصفة **(العِزّة)** له جَلَّوَعَلَا، هناك عبودية تتعلق باسم الله **(الرحمن)** و**(الرحيم)** وبصفة **(الرحمة)**؛ وهكذا في كل اسم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ له عبوديةٌ تخصّه.

۞أمرٌ خامسٌ: أيضاً وهو أن العلم بالله وأسمائه وصفاته والقيام بمقتضى هذا العلم من التعبّد لله عَزَّوَجَلَّهو **الغاية من خلق هذا الخلق كله**، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ ﴾ثم قال: ﴿ لِّتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾[الطلاق:١٢]، هذه السموات وهذه الأرض وهذا الأمر الذي يتنزّل بين السماء والأرض؛ كله لنعلم -واللام لام التعليل- ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾

[الطلاق:١٢]، أيضاً آية سورة المائدة:﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[المائدة:٩٧]، وهذا ولاشك مما يُرشد إلى جلالة هذا العلم وأهميته وأنَّ له المكانة الرفيعة بحيث أن هذا الكون خُلِقَ من أجل أن نعرف الله سبحانه ثم نقوم بما يلزم من هذه المعرفة وما تقتضيه هذه المعرفة وهي عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أمرٌ سادس: مما يبين أهمية العلم بأسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته أن هذا العلم هو أصل التوحيد؛ لأنَّ التوحيد نوعان:

توحيد علمي. توحيد عملي.

التوحيد العلمي، هو: الموصل إلى التوحيد العملي، فمعرفة الله جَلَّ وَعَلَا وأسمائه وصفاته بها يعرف الإنسان ربه فيوحِّده بالعلم وبالتالي يوحِّده بالعمل، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[مريم:٦٥]،لاحظ أن هذا توحيد علمي؛ لأن فيه إثبات صفاته وربوبيته جَلَّ وَعَلَا؛ ثم قال:﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[مريم:٦٥].

إذًا العلم بأسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته أصلُ الدِّين وأساس الهداية، وأفضلُ ما اكتسبته القلوب، وحصّلته النُّفوس، وأدركته العقول.

أمرٌ سابع: أن العلم بأسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته سببٌ لدخول الجنة، ومن منا لا يسعى لهذا الهدف العظيم! ألم يقل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في «الصحيحين»: «إنَّ للهِ تسعةً وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنَّةَ» وإحصاؤها يعني: معرفتها، وحفظها، والقيام بالتعبّد لله عَزَّوَجَلَّ بها.

[أهمية العلم بأسماء اللّٰه عَزَّوَجَلَّ وصفاته]

اللّٰه عَزَّوَجَلَّ أعان عباده على معرفة أسمائه وصفاته، اللّٰه سبحانه من سنته في خلقه أنَّه كلما اشتدت حاجة العباد إلى شيء فإن اللّٰه سبحانه يُنعِم به أكثر؛ مثلًا: العباد في حاجة ماسّة إلى الطعام، ولذلك الطعام كثير، العباد بحاجة أكثر إلى الماء؛ ولذلك الماء أكثر، العباد بحاجةٍ أشد وأشد إلى الهواء ولذلك أنعم سبحانه بالهواء أكثر وأكثر.

إذًا كلما كانت حاجة العباد إلى الشيء ماسّة فإن اللّٰه عَزَّوَجَلَّ يُنعم به أكثر، من ذلك أن اللّٰه سبحانه علِم حاجة العباد إلى معرفته، ولأجل هذا فإنه أعان عباده، ويسر لهم السُبَل إلى معرفته.

ومما يدل على ذلك أمور:

أولاً: أنَّ اللّٰه سبحانه أرسل الرسل وأنزل الكتب وفي هذه الكتب وفي رسالات الرسل بيان جملةٍ كبيرة من أسماء اللّٰه وصفاته، ولا شك أن هذا من أعظم الإعانة على معرفته جَلَّوَعَلَا.

أمر ثانٍ: أن اللّٰه عَزَّوَجَلَّ قد ضرب الأمثال التي يُعلم بها شيء من صفاته سبحانه، تأمل مثلا قول اللّٰه جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ [القمر:٥٠]، يعني: سرعة نفوذ أمر اللّٰه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أسرع من لمح البصر الذي هو من أسرع الأشياء عندنا على الإطلاق.

تأمل مثلاً قوله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ الثابت في «الصحيحين»: «**كيف تقولون**

بفرحِ رجلٍ انفلتتْ منه راحلتُه تجرُّ زمامَها بأرضِ قفرٍ ليس بها طعامٌ ولا شرابٌ وعليها له طعامٌ وشرابٌ، فطلبها حتى شقّ عليه، ثم مرت بجذلِ شجرةٍ فتعلق زمامَها فوجدها متعلقةً به؟ - الصحابة أجابوا- قالوا : شديدًا يا رسولَ اللهِ! فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: أما واللهِ؛ للهُ أشدُّ فرحًا بتوبةِ عبدِه من الرجلِ براحلتِه» انظر إلى هذا الفرح الذي لا يُعلم في الناس فرحٌ أشدُّ منه، فإنَّ فرح الله عَزَّوَجَلَّ بتوبة عبده أشد من هذا الفرح، هذا مثال يقرِّب المعنى.

تأمل مثلاً ما ثبت في «الصحيحين» في قصة المرأة التي كانت تسعى بين السبي حتى إذا وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «أترَونَ هذه طارحَةً ولدَها في النارِ؟! قُلنا: لا والله ، وهي تقدِرُ على ألا تطرَحَه»، -يعني لا يمكن أن تكون هناك أمٌّ مشفقةٌ ومُحبةٌ لولدها الصغير الذي هو في مرحلة هي أشد ما يكون الإنسان فيها رحمةً به وشفقةً عليه وحباً له ومع ذلك تطرحه في النار! هذا لا يكون؛ هنا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : «لَلّهُ أرحَمُ بعبادِه من هذه بولَدِها»، هذه أمثلة تقريبية حتى يفهم العباد شيئًا من صفات الله سبحانه؛ وهذا من إعانته جَلَّوَعَلَا على معرفة أسمائه وصفاته.

۞أمرٌ ثالثٌ: وهو الآيات الكونية فإنَّها من آثار صفات الله عَزَّوَجَلَّ، هذه الآيات التي يراها الإنسان من الإبداع العظيم في هذا الكون والدقة والإتقان والجمال وما شاكل ذلك؛ في آيات الله العلوية في السماوات وآياته السفلية في الأرض وفي باطنها وفي البحار إلى آخر ما هنالك؛ كُلُّ هذا ولا شك أثرٌ من آثار صفات الله عَزَّوَجَلَّ؛ كصفة العلم، وصفة الحكمة، وصفة القدرة، وصفة القوة، وغير ذلك من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا و لا شك من إعانة الله سبحانه لعباده في معرفة أسمائه وصفاته.

[قواعد أهل السنة والجماعة في صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ]

لا شك أنَّ هذا الباب بابٌ واسع وبابٌ دقيق والكلام فيه كثير، و لكن لعلي أنتخب أهم تلك القواعد التي قررها أهل السنة والجماعة في هذا الباب لأذكرها، ولتكن مفتاحًا لغيرها من كلام أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، وهو بابٌ -كما ذكرت- عظيم ودقيق ولكنَّه يسير على من يسر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه.

القاعدة الأولى
صفات الله عَزَّوَجَلَّ لا يُحصيها العباد

وتوضيح هذه القاعدة هو أن ما جاء في الكتاب والسنة من الصفات إنما هو بعض صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وأما في حقيقة الحال فإن الله سبحانه موصوفٌ بما هو أكثر وبما لا نستطيع له حصرا، والأدلة على هذا عدّة، منها قول النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه؛ في الحديث المخرج في «صحيح مسلم»: «**أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**» والله عَزَّوَجَلَّ مما لا شك فيه أنما إنما يُثنى عليه بذكر نعوت جلاله؛ فإذا كان لا يحصي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثناءً عليه فهو لا يُحصي كل صفاته.

مما يستدل به أيضاً على هذا الموضوع قوله عليه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في

حديث الشفاعة وهو مخرّج في «الصحيحين»، حينما أخبر أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سيسجد تحت العرش، وذكر فيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال:«**فأحمده بمحامد يفتح بها عليّ لا أحسنها الآن**»، ولا شك أنَّ هذه المحامد تشتمل على صفاته عَزَّوَجَلَّ وما يُثنى عليه به، وهذا دليل على أن لله عَزَّوَجَلَّ صفات لا نعلمها.

أيضاً من الأدلة على ذلك حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المخرّج عند «أحمد» وغيره – وهو الحديث المشهور بحديث الهمِّ -فيه يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحد من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري** – إلى آخر الحديث -»، الشاهد منه، هو: أنه قال: «**أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»، وعلى كل حال الحديث فيه بحثٌ من جهة الثبوت، وممن صححه من أهل العلم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجماعة من المعاصرين.

الشاهد في الحديث أنه قال: «**أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»، فدلَّ هذا على أن من أسماء الله مالا يعلمه العباد أبدًا، وإنما استأثر به الله سبحانه وتعالى، ومن المعلوم أن كل اسمٍ مشتملٌ على صفةٍ من صفات الله سبحانه ،وبناء عليه فإذا كنَّا لا نحصي أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فبالتالي لا نحصي صفاته جَلَّ وَعَلَا، وهذه بعض الأدلة على هذه القاعدة .

القاعدة الثانية:
المرجع فى إثبات الصفات كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

هذه قاعدة أصيلة وهي أمُّ الباب في باب الأسماء والصفات، ومعناها: أنه لا يُثبَتُ لله جَلَّوَعَلَا إلا ما أثبت لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في سنّته، **والسبب في ذلك أمران:**

الأمر الأول: أن ما جاء في القرآن والسنة هو الحق الذي لا يتطرق إليه شك، والله عَزَّوَجَلَّ وصف كتابه بقوله: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]، ووصف نبيه عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ بقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾[النجم:٣].

إذًا كُلُّ ما جاء في الكتاب والسنة من الأسماء والصفات الثابتة أو المنفية، فذلك هو الحق الذي لا يأتيه الباطل أبدًا.

الأمر الثاني: أنَّ باب الأسماء وباب الصفات من أبواب الغيب، وأبواب الغيب لا تُعرف إلا من طريق الخبر، الله عَزَّوَجَلَّ يقول عن نفسه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فما يتعلق بصفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَى هو من أمور الغيب، وإذا كان الأمر كذلك فلا يمكن البتة أن يُثْبَت لله عَزَّوَجَلَّ أو يُنفى عنه إلا ما جاء في الوحي الصادق في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهذا هو الأمر المقرر عند أهل السنة والجماعة من شواهد ذلك، من كلام أهل العلم قول السجزي رَحِمَهُٱللَّهُ في كتابه المسمى «رسالة إلى أهل زبيد»، قال رَحِمَهُٱللَّهُ: (**وقد اتفق أهل السنة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفًا**)، يعني: لا تؤخذ الصفات ولا تُثبَت إلا على جهة التوقيف، أي أن تؤخذ من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهذا ما درج عليه الأئمة كافة من شواهد كلامهم، في

ذلك قول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لا يُوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لا يُتجاوز القرآن والحديث**).

والحق أنه لو تأمل المتأمل لوجد أن الله عَزَّوَجَلَّ أثنى على المرسلين، وذمَّ المفترين عليه، والسبب أنَّ عباده المرسلين إنما وصفوه بما وصف به نفسه بخلاف المفترين، قال جَلَّوَعَلَا: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات:١٨٠]، يعني: المفترون، ثم قال: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[الصافات:١٨١]، وذلك لسلامة ما قالوه، ولا شك أن المرسلين لم يصفوا الله عَزَّوَجَلَّ إلا بما وصف به نفسه.

إذًا دلّ النص كتابًا، وسنةً، ودلّت الآثار، ودلّ الإجماع على أنَّ باب الصفات لا يُؤخذ إلا توقيفًا.

أيضًا العقل يدل على أن الواجب في هذا الباب الاعتماد على النَّص، فإنَّ العقل الصريح يقتضي أنَّه لا يُحكم على الأشياء إلا في ضوء ما يُدرك ويُعقل، وباب الصفات خارجٌ عن حدود إدراك العقل؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم نره، ولم نرَ شبيهًا، أو مثيلًا له تعالى عن ذلك، فما بقيَ إلا أن يُقتصر على الخبر الذي يأتي من طريق الوحي ويُسلَّم له.

[آثار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
هل يُعتمد عليها في هذا الباب؟]

المعتمَدُ في باب الصفات -كما ذكرت- الكتاب والسُّنة، ويلتحق بذلك ما صحّ عن أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه إذا صحّ أثرٌ عن أحد من الصحابة فيه إثبات اسم، أو صفة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فإنها تُثبَت، وذلك أنَّ باب الأسماء والصفات بابٌ توقيفي، فإذا أثبت الصحابي شيئًا من الأسماء والصفات عُلِم أنه لم يقُله إلا على جهةِ التوقيف، ويُمكن أن أُمثِّل لذلك بما ثبت في «مصنّف ابن أبي شيبة» وغيره عن ابن عمر وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من إثبات اسم الله عَزَّوَجَلَّ: (الأعزّ) ؛ إذْ إنَّهم كانوا بين الصفا والمروة إذا كانوا في الوادي يقولون: «ربِّ اغفر وارحم وأنت الأعزّ الأكرم»، فثبوت هذا الاسم في الحقيقة هو راجعٌ إلى التوقيف، يعني: إلى النَّص، وذلك لأنَّ ما أثبته الصحابي هنا مما لا سبيل للاجتهاد فيه، وإنَّما هو قطعًا إنَّما قاله على جهة التوقيف.

[هل أهل السنة والجماعة يفرقون في هذا الباب بين ما ثبت في القرآن الكريم وما ثبت في السنة المطهرة؟]

لا شك أنَّ من قواعدِ أهل السنَّة في هذا الباب عَدَمُ التفريق بين ما ثبت في الكتاب وما ثبت في السنَّة، فكلُّ ما جاء في القرآن، أو صحّ عن المصطفى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من صفات الرحمن فإنَّه يجب اعتقاده ولا فرق، فإنَّ الأدلة قد دلّت على أن الوحي حجّةٌ مطلقة، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾[الأحزاب:٣٤]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنْۢ بَلَغَ﴾[الأنعام:١٩]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر:٨]، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بالقرآن وجاء بالسنة.

إذًا لا فرق بين ثبوت الصفة من جهة القرآن، أو من جهة السُّنَّة.

[من المسائل: أنَّ بعض الناس يشترط في السُّنة لكي تُقبل في هذا الباب أن تكون من قبيل المتواتر لا من باب الآحاد.

فهل هذا الشرط وجيه وصحيح؟]

مناطُ القبول عند أهل السنة والجماعة هو ثبوت الحديث، أمَّا أن يُشترط زيادةً على ذلك كونه متواترًا، أو غير متواتر فهذا ليس من طريقتهم.

الحديث عند أهل السنة والجماعة حجةٌ في بابِ الصفات، وفي باب العقائد بالعموم، بلْ وفي أبواب الدِّين كلها إذا ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواء ثبت من طريق متواترة، أو من طريقٍ آحاد، كلُّه حجة، كلُّه مقبول، وكلُّه يجب اعتقاد ما دلَّ عليه، والأدلة على هذا كثيرة من الكتاب، ومن السنة ومن الإجماع، وأُورد بعض الأدلة على هذا الموضوع:

من الأدلة على هذه القضية وهي من القضايا المهمة قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة:١٢٢]؛ و(الطائفة) قد تكون أقل من حدّ التواتر الذي يحدُّه الأصوليون.

أمَّا من سُنَّةِ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالنَّبِيُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أرسل الآحاد إلى النَّواحي والأطراف، وقامت الحجة على النَّاس بهذا الواحد المرسل، واستحل النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدماء، والأموال، والأعراض بخبر هذا المرسِل الواحد، يعني: لو لم يكن خبر الآحاد يفيد العلم لما فعل ذلك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أيضاً هو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يقبل أخبار الآحاد، ويبني عليها في وقائع

كثيرة، هذا كله من فعله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، من قوله حديثُه المشهور الصحيح: «نضَّر اللهُ امرأً سمِع مقالتي فوعاها و أداها كّما سمعهاَ فرُبَّ مُبلَّغٍ أوعى مِن سامعٍ»، ولا شك أنَّ فائدة التبليغ هي: قيامُ الحجة، وكونُ هذا المبلَّغ يعمل بما جاء.

أما من جهة إقراره عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ فهو عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُأقرّ أهل قباء في مسألة تحويل القبلة.

أقرّ أيضًا قبول الصحابة لخبر الواحد في تحريم الخمر، وإتلافهم للمال الذي كان محترَماً قبل هذا الخبر؛ وإنما كان خبرَ واحد!

إذًا ثبت في السنة قبول خبر الواحد من طريق الفعل ، من طريق القول ، من طريق الإقرار.

أيضاً إجماع الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ فالصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ والتابعون أيضاً كانوا يقبلون ويعملون ويحتجّون بأخبار الآحاد في وقائع لا تكاد تُحصى، حتى إنَّ ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُفي «مختصر الصواعق» ذكر : (**أن الأمر من الوضوح بمكان ولو شاء أن يُورِد عليه مائة حادثة لأوْرَد**).

إذًا الخلاصة أنَّه ثبت في الكتاب، والسُّنَّة، وإجماع الصحابة، والتابعين أن أخبار الآحاد التي ثبتت عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وحكم عليها أهل العلم بالحديث بالقبول أنَّها تفيد العلم والحجية؛ والمسألة تحتاج إلى تفصيل أكثر لا يتسع له المقام.

وذلك لأمرين:

أولا: أنَّ النصوص التي جاءت في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نقطع أنَّ ظاهرها مرادٌ لقائله؛ وأنَّه لا يمكن أن يكون في الآية، أو الحديث شيءٌ لا يريدُ الله عَزَّوَجَلَّ ولا يريد نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ظاهره المتبادر منه، لمَ ذلك؟ الجواب: لأنَّ هذا القرآن نزل هدىً، وشفاءً، وبيانًا، ونورًا مبينًا﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[سبأ:٦]، إذًا نحن نقطع أنَّ ما جاء في النصوص فإنَّه مرادٌ لله عَزَّوَجَلَّ ومرادٌ لرسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولا يمكن أن يخبر الله عَزَّوَجَلَّ أو يُخبر رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بكلامٍ ظاهره يدل على شيء والمراد شيءٌ غيره.

الأمر الثاني: أننا نقطع أن ما جاء في النصوص مفهومٌ للمخاطَبين، وذلك أن فائدة الخطاب هو فَهْمُ مراد المتكلِم فلابد أن يكون الخطاب إذًا إن أُريد الإفهام لا الإلغاز ولا التعجيز؛ لابد أن يكون مفهومًا لدى الذي يستمع إليه؛ وإلا لأصبح تعجيزًا وإلغازًا أو أصبح إضلالًا للمخاطَب، وهذا ولا شك مما ينزه عنه كلام الله وكلام رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ولو تأملت يارعاك الله لوجدت أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمر بتدبر كتابه فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾[محمد:٢٤]، ولم يستثنِ ما ورد في كتابه من صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من التدبر؛ بل أخبر سبحانه أن هذا القرآن لو جاء فيه مالا يُفهم لكانت هناك حُجّة للكفار، ولذلك يقول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا

لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾[فصلت:٤٤]، إذًا لا يمكن أن تقوم الحجة على النَّاس بكلامٍ لا يُفهم؛ ولا يمكن أن يكون في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ مالا يُفهم مُطلقًا، يعني: مالا يُفهم لجنس المخاطبين؛ قد يكون هناك اشتباه، أو عدم فهم لدى بعض الأفراد، أمَّا للكل بمعنى أن يكون في ذاته لا يمكن أن يُفهم! فهذا لا يمكن أن يكون في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أو في سنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

إذًا لأجل هذا وذاك فإننا نُجري النصوص على ظاهرها اللائق بالله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

القاعدةُ الرابعة
أنَّ ما ثبتَ من أسماء الله وصفاته وجبَ الإيمانُ به وتلقِّيه بالتسلِّيم والقبول

إذا ثبت النَّص فإنَّ الواجبَ في حقه الإيمان، والتلقِّي بالتسليم والقبول، وذلك لأنَّ هذه النصوص داخلةٌ في قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [البقرة:٤]، وفي قوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [النساء:١٦٢]، وعلى هذا درج السلف الصالح، الذين هم غُرّة هذه الأمة، وأوْلاها بالحق والصواب في كل الأمور، وفي هذا يقول الأوزاعي رَحِمَهُٱللَّهُ: (**كنَّا والتابعون متوافرون نقول: إنَّ الله تعالى ذِكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات**).

والإيمان والتلقِّي بالتسليم والقبول في هذا الباب يقتضي أمرين:

۞**الأمر الأول**: الإيمان والاعتقاد بأن الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ موصوف بهذه الصفات على الحقيقة.

۞**الأمر الثاني**: اجتناب المحاذير التي تحول دون تحقيق الإيمان بصفات الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

هذه القواطع التي تحول بين المؤمن وبين ما يجب عليه من التسليم والإيمان في باب الصفات، **يمكن أن أُلخِّصها في خمسة محاذير: التمثيل، والتكييف، والتعطيل، والتحريف، والتفويض**.

۞**أولاً: التمثيل**: تمثيل الله عَزَّوَجَلَّ بخَلقِه، وتشبيهه سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ بخَلقِه قضية ممنوعة، ومحرَّمة بدلالة العقل، ودلالة النَّقل؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول عن نفسه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، ويقول: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا

يَخۡلُقُ ﴾[النحل:١٧]، ويقول: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾[مريم:٦٥]، ويقول: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾[الإخلاص:٤].

وهذا هو المركوز في فِطَرِ المؤمنين جميعًا؛ أنَّ الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ منَزّهٌ عن أن يكون مماثلاً، ومشابِهًا للمخلوق، وهذه قضيةٌ إجماعيةٌ قطعيةٌ في الشرع، ناهيك عن أنَّ العقل أيضًا مؤيدٌ لهذه الأدلة النقلية، فإنَّ العقل يقطعُ بأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كاملٌ من جميع الوجوه، ومنَزّهٌ عن النَّقص من جميع الوجوه.

ولا شك أنَّ تشبيهه بخلقِه فيما يختص به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، لا شك أنَّه ادَّعاء لنقص عظيم فيه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ لأنَّ المخلوق كما هو معلومٌ بالمشاهدة، والحس، ناقصٌ تعتريه أمور كثيرة من السِنَة، والنَّوم، والنسيان، والعجز، والجهل يلحقه الضعف، يلحقه الصمم، العمى إلى غير ذلك، وكل هذه آفاتٌ لا يمكن أن يكون الله الكامل من جميع الوجوه مَنْعُوتًا، وموصُوفًا بها جلَّ ربنا وتعالى عن ذلك.

إذًا من الممتنِع غاية الامتناع أن يشابِه الله عَزَّوَجَلَّ خلقه، والمقصود أنَّ تشبيه الله عَزَّوَجَلَّ بخلقِه قضيةٌ محرَّمة؛ بل من شبَّه اللهَ عَزَّوَجَلَّ بخلْقِه ضالٌّ منحرفٌ كافرٌ به سبحانه، كما قال الإمام نعُيم بن حماد الخزاعي رَحِمَهُٱللَّهُ الذي هو شيخ الإمام البخاري فيما خرَّج اللالكائي وغيره بإسنادٍ صحيح عنه أنَّه قال: (**من شبَّه اللهَ بخلْقِه فقد كفر، ومن جحد ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه تشبيه**).

إذًا دلَّ هذا على أنَّ تشبيه الله عَزَّوَجَلَّبخلقه كفر، وأنه لا يُشَبِّه الله بخلقِه إلا منحرفٌ ضالٌّ.

[بعض النَّاس: قد يقع في نفسه بما أنَّ الله موصوفٌ، ويوصف بأن له وجهًا، وعينًا، ويدًا، وأنه جَلَّ وَعَلَا يحب، ويبغض، ويغضب، إلى آخر ما ورد في النصوص، يقع في نفسه شُبهة وأنه جَلَّ وَعَلَا مماثلٌ للمخلوق! ما الجواب عن هذا الإيرادِ، أو هذه الشُبهة ؟!]

لا شك أن هذا مرضٌ قد يَعْرِضُ لبعض القلوب التي لم تَقْدُرِ الله حق قدره، وإلا فمن قدَر الله حق قدره، لا يمكن أن يشبه الله بخلقه؛ الله أكبر من كل شيء، أعظم من كل شيء، أغنى من كل شيء، أقوى من كل شيء، فكيف يُظن أنه يشبه المخلوق الذي هو ضعيف من كل وجه، فقيرٌ من كل وجه، سبحان الله العظيم!

القلوب المؤمنة التي آمنت بربها، وعظمته، وقيوميته تزداد إيمانًا، وحبًا، وتعظيمًا لإلهها، وخالقها إذا سمعت شيئًا من صفاته.

وليس أنَّها تعتقدُ النَّقص فيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكونه مشابهًا للمخلوقين، يعني: لو تأملت في شأن أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لوجدت أنهم كانوا يسمعون من النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ النصوص تلو النصوص، ولم يخطر ببالهم قط التشبيه.

من أمثلة ذلك: هذا أبو رزين العقيلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والحديث في «مسند أحمد» وغيره، وحسنه شيخ الإسلام وغيره: لما سمع قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ضحِك ربُّنا عَزَّوَجَلَّ من قُنوطِ عبادِهِ وقُربِ غِيَرِهِ، قال له: أوَيضحكُ الربُّ عَزَّوَجَلَّ ؟ قال** عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «**نعم**» -ماذا كان الجواب؟- **قال** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **لن نعدِمَ من ربٍّ**

يضحَكُ خيرًا»، انظر أنه لما سمع هذه الصفة كيف ازداد إيمانه، ورجاؤه، ومحبته لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أمَّا حصول الاشتباه يكون له وجهٌ، لو أن الله عَزَّوَجَلَّ قال: إنَّه يتصف بوجهٍ كالمخلوق، أو عينٍ كالمخلوق هنا يُتوهم التشبيه، إنما اتصاف الله عَزَّوَجَلَّ بهذه الصفات يليق به، واتصاف المخلوق يليق به، بمعنى: كما أن الله عَزَّوَجَلَّ أخبر أنه سميعٌ، وبصير، وله عينٌ، ووجه إلى آخره؛ أخبر أنه ليس كمثله شيء، وأنه لم يكن له كفوًا أحد، إذًا يجب على المؤمن أن يجمع بين هذا وهذا، ويعتقد هذا وهذا، وبالتالي يكون مؤمنًا بالكتاب كله.

إذًا الله عَزَّوَجَلَّ له عينٌ نعم لكنَّها لا تماثل عين المخلوق، لله عَزَّوَجَلَّ وجهٌ نعم ولكنه لا يماثل وجه المخلوقين، إلى آخر صفات الله عَزَّوَجَلَّ.

ولو تأملت -يارعاك الله-، لوجدت أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قبل أن يُعْلِمَنَا أنه سميعٌ، وبصير أخبرنا أنه ليس كمثله شيء فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، وذلك أنَّه حتى إذا وردَ على القلب اتصاف الله بالصفات فإنَّما يرِد عليه وهو نقيٌ من أدران التمثيل والتشبيه، إذا اعتقدت أن الله سميعٌ وبصير، فاعتقد مع هذا أنَّ سمعه ليس كسمع المخلوق، وأن بصره ليس كبصر المخلوق، وهكذا في سائر الصفات.

وأعتقدُ أنَّ كل أحد لا يستشكل أنَّ اتصاف الله عَزَّوَجَلَّ بالصفات ليس كاتصاف المخلوق مع الاشتراك في أصلِّ الوصف، فالله سميع، والمخلوق سميع، والله بصير، والمخلوق بصير، كما قال جَلَّوَعَلَا عن المخلوق : ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[الإنسان:٢]، لكن ليس السميع كالسميع، ولا البصير كالبصير؛ الله عزيز والمخلوق قد يكون عزيزًا ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾[يوسف:٥١]،وليس العزيزُ كالعزيز ، وهكذا في صفاتٍ كثيرة.

وأنت إذا تأملت وجدت أنَّ المخلوقات تتصف بصفة مشتركة مع البون

الشاسع في حقيقة الصفة، وكنهها، وكيفية الاتصاف، تقول مثلاً يد الإنسان، يد الفيل، يد النملة، يد الباب، فهل يقول عاقل إنَّ يد الفيل كيد النملة ، أو أن يد الإنسان كيدِ الباب!

تقول: رأس البعوضة، رأس الزرافة، رأس الجبل، رأس الإبرة؛ هذه رؤوس، وهي حقيقة في كلِّ محلٍ من هذه المحال الأربعة، ومع ذلك هي مختلفة في كنهها، وكيفيتها، يعني: هل رأس البعوضة كرأس الزرافة، هل رأس الجبل كرأس الإبرة؟!

خذ مثلاً في كتاب الله؛ الله عَزَّوَجَلَّ يقول عن سفينة نوح: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾[هود:٤٤]، يعني: علَت، وارتفعت، واستقرّت على جبل اسمه الجودي، والإنسان يستوي على ظهر الدابة، قال جَلَّوَعَلَا: ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف:١٣]، هل استواء السفينة على الجبل في كيفيته كاستواء الإنسان على ظهر البعير؟! الجواب بالتـأكيد: لا، هذا وهي جميعًا مخلوقة!

إذًا إذا اختلفت الصفات بين المخلوقات في الحقيقة والكُنْه، فَلأَنْ يكون الاختلاف بينها وبين الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من باب أولى.

إذًا كيف يُظن بعد ذلك أن استواءه جَلَّوَعَلَا على العرش مثلاً كاستواء الإنسان على كرسيّه؟!

[هل هناك قاعدة أو ضابط يضبط لنا هذه المسألة المهمة؟]

لا شك أنها مسألة مهمة، ولكن الأمر كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «طريق الهجرتين» : (**بحمد الله الطريق واضحة المنار بينة الأعلام مضيئة للسالكين وأولها أن تحذف خصائص المخلوقين عن إضافتها إلى صفات رب العالمين فإنَّ هذه العقدة هي أصل بلاء الناس، فمن حلها فما بعدها أيسر منها، ومن هلك بها فما بعدها أشدُّ منها**)، مراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ هذه العقدة التي أدَّت إلى انحراف من مثَّل وشبَّه، و أيضًا من عطَّل وحرَّف، وأوّلَ أيضًا، بمعنى: حتى الذين أوّلوا وحرّفوا، إنما كان منهم هذا جميعًا؛ لظنِّهم أن نصوص الصفات يُوهِمُ ظاهرها التشبيه، وهذا بالتأكيد خطأ كبير.

تنضبط المسألة يارعاك الله بفهم قاعدة مهمة عند أهل العلم وهي: قاعدة القدْر المشترك والقدْر المَمَيّز؛ بيانُ ذلك باختصار أنَّ ثمة اشتراكًا في أصل الصفة بين الخالق والمخلوق، وذلك في حال كون الصفة مجرَّدةً عن أي إضافة، وهذا إنَّما يكون في المعنى العام قبل الإضافة، وهذا في الحقيقة شيء لا وجود له إلا في الذهن فقط؛ سمعٌ، بصرٌ، محبةٌ، استواءٌ إلى آخره، هذا هو القدر المشترك.

وثمَّة قدر ممَيّز، وذلك حين الإضافة؛ فحين تقول: سمع الله، أو سمع المخلوق هذا قدْر ممَيّز، فلكلٍّ من صفة الخالق والمخلوق خصائص تميزه لا تَماثُلَ فيها ولا اشتراك.

إذا اتضح هذا فإنه يُعلم أنَّ من نفى القدر المشترك وقع في التعطيل؛ ومن

نفى القدر المَيّز وقع في التمثيل.

لو تأملنا القرآن، وتأملنا سنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وجدنا أن الله عَزَّوَجَلَّ مع كونه أخبر أنَّه ليس كمثله شيء، وصف نفسه بأوصاف، ووصف المخلوق بهذه الأوصاف، والأمثلة على هذا كثيرة: قال جَلَّوَعَلَا: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾[البقرة:٢١٠]، ولاشك أنَّه ليس الآتي كالآتي! ولا الإتيان كالإتيان!

قال سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ﴾[الفجر:٢٢]، وليس المجيء كالمجيء، ولا الجائي كالجائي، قال سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ﴾[الأنفال:١٩]، ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾[آل عمران:١٨]،﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[غافر:٣٥].

قال عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «الرَّاحمونَ يرحمُهم الرحمنُ»، «لاتُوعي فيُوعي اللهُ عليك»، إلى آخر ما هنالك، وأعتقدُ أنَّ من ضبط هذه القاعدة وفهمها لم يعد عنده إشكال يتعلق في هذه القضية.

المحذور الثاني: ألا وهو: التكييف، ولعلي أنطلق في الكلام عن هذا المحذور من جواب الإمام مالك رَحِمَهُٱللَّهُ حينما قيل له: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ قال رَحِمَهُٱللَّهُ: (**الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عن ذلك بدعة**). وهذا الأثر أثرٌ صحيحٌ عنه تلقاه أهل العلم عن هذا الإمام بالقبول، وأضحى ميزانًا يرجع إليه الكلام في جميع الصفات.

الشاهد أنه قال رَحِمَهُٱللَّهُ: الاستواء غير مجهول، يعني معلوم من جهة اللغة العربية، والكيف غير معقول وهذا نستفيد منه نفي الكيفية بالنسبة لنا، يعني نفي معرفتنا بكيفية اتصاف الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ ولذا يقرر أهل العلم في هذا المقام أنَّ إثبات الصفات عند أهل السنة إثباتُ وجود لا إثبات تحديدٍ

وتكييف، ومعنى هذا أننا نقطع أن لها كيفية وحقيقة، لكن ننفي علمنا بهذه الكيفية.

التكييف: هو أن يُعتقد أن كيفية صفة الله عَزَّوَجَلَّ وكنهها وحقيقتها كذا وكذا، يعني هذا المكيِّف يحدِّد، ويذكر كُنْهًا، وحقيقة للصفة، ولاشك أن هذا أمرٌ ممنوع غاية المنع، والدليل العقلي والنَّقلي قائمٌ على امتناع تكييف صفات الله -عز وجل- من ذلك قول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[طه: ١١٠]، ويقول سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[الإسراء: ٣٦] ، ولا شك أنَّ كل من ذكَر كيفيةً وكنهًا، وحقيقةً للصفات، فإنَّه قد تكلم على الله عَزَّوَجَلَّ بغير علم.

أما من حيث العقل فإن العقل يقتضي أنه لا يمكن أن تُعرف الكيفية والحقيقة، إلا من خلال مشاهدة هذه الذات وهذه الصفة، وبالتالي تُذكر الحقيقة والكيفية، أو على الأقل أن تُشاهَدَ المثيلات لهذه الذات، يعني: لا يُرى الذات لكن يُرى مثيلٌ لها؛ والله عَزَّوَجَلَّ لم نرَه في «صحيح مسلم» قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**تعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**» أيضًا لم نرَ مثيلاً لله عَزَّوَجَلَّ؛ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

إذًا يخلص الإنسان من ذلك إلى أنه لا يمكن أن نذكر، أو أن نطَّلع على كيفية صفات الله جَلَّوَعَلَا.

ومن لطيف ما يُذكر في هذه المسألة أنَّ أحد السلف بَلَغُه عن شابٍ أنه يخوض في تكييف صفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فدعاه، وسأله سؤالاً، قال له: بلغنا عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ له ستمائة جناحٍ سدَّت الأفق، قال: قد علمت الجناحين فركِّب لي ثالثًا! يعني: نحن نعلم بالمشاهَد أنَّ الطائر له جناحان: أحدهما عن شقه الأيمن، والآخر عن شقه الأيسر، أين يكون الجناح الثالث؟! يعني لن أسألك عن خمسمائة وسبع وتسعين جناح ركِّبها لي،

إنما أسألك فقط عن الجناح الثالث!

هنا توقف هذا الشاب، ورجع عن قوله؛ لأنَّه أدرك أنه إذا كان عاجزًا عن معرفة كيفية مخلوق من مخلوقات الله جَلَّوَعَلَا وهو جبريل؛ فكيف يريدُ أن يكون عالمًا بكيفية صفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

وعلى كل حال ما أحسن ما قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: فيما أخرج ابن بطة في «الإبانة» قال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (**فكما جعل الله لأبصار العيون حدًا محدودًا من دونها حجابًا مستورًا، فكذلك جعل لأبصار القلوب غاية لا تجاوزها، وحدودًا لا تتعداها**).

المحذور الثالث التعطيل.

التعطيل هو: الردُّ والإنكار، وهذا إنَّما يكون في أخبار الآحاد، وقد مرَّ ذِكر الكلام عن ذلك؛ لأنَّ المتواتر ليس من المنتسبين للقبلة من يُجاهر بجحدها وإنكارِها الصريح.

إذًا أنتقل بعد ذلك إلى المحذور الرابع وهو التأويل.

[قضية التأويل هذه تحتاج إلى بسط،

فإننا قد نجد في بعض الكتب، ونسمع من بعض الناس في بعض الصفات إنَّ لها تأويلاً يخالف ظاهرها، فالمراد بهذه الصفة كذا وكذا، فنريد بسطًا في هذه القضية]

الأمر يستحق الوقوف عنده والتنبيه عليه، وذلك أنَّ بعض الناس الذين حُرموا الاتّباع التام لنهج المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ونهج السلف الصالح من بعده، قد انحرفوا عن جادة الحق في هذا الباب فأضحَوْا يؤولون بعض صفات الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ أو كثيرًا منها، والتأويل بهذا الاصطلاح معناه: حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه، والحقيقة أنَّ هؤلاء لهم تفنُّن عجيب في ذِكر التأويلات؛ تارةً يذكرون أشياء لا تُحتمل من جهة اللغة، وتارةً يذكرون أشياء لا تُحتمل من جهة السياق، وهذا وذاك قولٌ على الله عَزَّوَجَلَّ بغير علم، يعني: أضربُ مثلاً لذلك مما وقفت عليه من كلام هؤلاء المؤولة؛ تجد مثلاً بعضهم يقول في قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك:١٦]، لاحظ أنَّ هذه الآية من أوضح ما يكون في إثبات علو الله عَزَّوَجَلَّ، تجدُ بعضهم يقول: هو مَلَكٌ من الملائكة؛ هذا الذي في السماء ملَكٌ من الملائكة، حقيقة أي شخص ولو بَلَغَ الغاية في الجهل لو تُليَت عليه هذه الآية فإنه يعتقد أن المراد هو الله عَزَّوَجَلَّ، ويمتلئ قلبه خوفًا ورهبةً من هذه الآية.

تجد بعضهم وهذا مثال آخر يقول في قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: كما في حديث الجارية المخرّج في «صحيح مسلم» حينما قال لها عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ:

«أين الله؟»، قالت: في السماء؛ قال: «أعتِقها فإنها مؤمنة».

ماذا قال هؤلاء؟ قالوا إن معنى: «في السماء»، أي: هو رفيع القدر، جليل المنزِلة، سبحان الله! هل هذا معنى: «في السماء»؟! هل يصح أن يكون هذا جواب كلمة: «أين»؟ يعني أقول لك أين فلان؟ تقول: فلان رجلٌ كريم، رجلٌ طيب! هل يستقيم هذا؟ لاشك أنه لا يستقيم في كلام من هو من أجهل الناس، كيف يقرها إذًا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذا بل يحكم لها بالإيمان بناء على هذا الجواب؟!

إذًا الخلاصة أن هؤلاء مع الأسف الشديد، قد ضربوا في هذا الباب بضروب من التحريف التي يجزم فيها أهل العلم والإيمان، بأنها مُنْكرَةٌ بعيدة عن العلم، تأنف منها وتبتعد عنها القلوب التي امتلأت حبًا وتعظيمًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

هنا أود أن أُذكِّر بما قلته سابقًا من تكلم بكلام يريد به هدايةً، وإيضاحًا فلابد أن يكون مفهُومًا لمن يُخاطَبُ به، وإذا كان المراد الإلغاز، أو التشغيب، أو التعجيز، فإنه يَسلك المسلك الذي فيه التعسير على من يسمع، ويفهم الكلام.

إذا نظرنا إلى كلام الله عَزَّوَجَلَّ وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا تُرى من أي الجهتين يكون؟ هل هو كلام يُراد منه الهداية؟ يُراد منه الإيضاح والإفهام؟ أو يُراد منه الإلغاز والتعجيز؟ لاشك عند كل مسلم أن المراد من كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإيضاح والهداية، فهو كلام ﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[المائدة:١٦]،﴿ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[سبأ: ٦]؛ كتابٌ موصوفٌ بأنه هداية، ونور، وبيان يهدي إلى الرشد؛ إلى آخر ما جاء في صفاته.

إذًا لو كانت هذه الصفات على غير حقيقتها، أو أنه لا يراد بها ظاهرها

اللائق بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كما يقول هؤلاء؛ إذًا نصوص الوحي الشريف كتابًا وسنة، قد اشتملت على ما يُضلُّ الناس، وليس على ما يهديهم، ليس على ما يبيّن لهم، ليس على ما يكون نورًا مبينًا لهم، والحقيقة كان ترك النَّاس -لو كان الأمر كذلك- بلا كتاب خيرٌ من أن يُنزَل عليهم كتاب يشتمل على ما يُضلهم، لو كان الأمر كما يزعم هؤلاء من أنَّ نصوص الصفات تحتاج إلى تأويل؛ أسأل سؤالاً هل كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يسكت عن البيان، وهو يُحدِّثهم، ويتلو عليهم ما يُزعم أنه لا يليق بالله؟ أليس هو أعلم الخلق بالله؟! أليس هو أفصح الخلق؟! أليس هو أحرص النَّاس على هدايتنا؟

إذًا لماذا لم يقل يومًا واحدًا لأصحابه: أنتم تقرؤون آياتٍ، وتحفظون أحاديث فيها نسبة النزول، العين، الوجه لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ إذًا احذروا أن تعتقدوا أن هذه صفات لله! إنما هذه كلمات لها تأويل يُخالف ظاهرها؛ سبحان الله العظيم!

أين الصحابة عن تحذير التابعين، وأين التابعون عن تحذير أتباع التابعين؟ وهم يرون أنهم قد يقعون في الضلال؛ وحاشاهم، لِمَ لم يأتِ عن واحد منهم فقط التحذير والإنذار بأن لا يقع في قلوب القارئ أن هذه صفاتٌ لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لكن لها تأويل يخالف ظاهرها؟ والله المستعان.

أنتقل بعد ذلك إلى المحذور الخامس، ألا **وهو**: **التفويض**، قاعدة أهل السنة والجماعة أن ما جاء في النصوص في صفات الله حقٌّ يُعلم معناه وتُجهل كيفيته.

[بعض الناس يقول:

نحن نفوِّض صفات الله تعالى، فلا نعلم كيفيتها،

ولا معناها، وإنما نتلو الآيات ونسكت فهل هذا المسلك صحيح؟]

هذه المسألة أيضًا في غاية الأهمية؛ الجملة صحيحة في شق، وهو: تفويض الكيفية، وغير صحيحة في شقٍ آخر، ألا وهو: تفويض المعنى.

تفويض المعنى عقيدة مشهورة يعتنقها كثيرون تسمى: عقيدة التفويض، والمقصود بها على المشهور عند المفَوِّضة: الحكم بأن معاني الصفات مجهولة غير معلومة مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد لاقتضائه التشبيه، يعني: هؤلاء يقولون نحن لا نفهم ما المقصود من النصوص التي اشتملت على هذه الصفات، نحن نقرؤها ونقول الله أعلم بما أراد؛ مع القطع أنها ليست على ظاهرها، وعند الدقة في هذه القضية نحتاج أن نقول إنَّ محل التفويض عند أصحابه، إنما هو في الصفات الخبرية.

على كل حال الحق ما سبق بيانه من أنَّ مذهب أهل السنة والجماعة، هو أن هذه النصوص محمولة على ظاهرها اللائق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهي معلومة لنا من حيث أصل المعنى اللغوي، وإن كنا نجهل الكيفية.

دعني أضرب مثالاً نحن معشر المسلمين نعتقد أن الله عَزَّوَجَلَّ سيضع يوم القيامة ميزانًا عظيمًا حسّيًا له كِفَّتان؛ والميزان في اللغة معلوم؛ لكن كنهه، كيفيته، حقيقته، مادته التي خُلق منها، طوله، عرضه ... هذه في الحقيقة قضايا مجهولة لنا، لكن هذا لا يعني أننا لا نفهم معنى كلمة (ميزان)، بل كل من يعرف اللغة العربية يعرف ما معنى: (ميزان)؟ لكن إن انتقلنا إلى تحديد

الكنه، والحقيقة، والكيفية فإننا نقول لا ندري؛ الله أعلم كيف يكون هذا الميزان.

إذًا أعود فأقول المذهب الحق أننا إذا كنا نتوقف في حقيقة كيفية ما يكون من المخلوقات التي ستكون يوم القيامة فَلأَن نقف -كما سبق بيانه- أن نقف هذا الموقف فيما يتعلق باتصاف الله عَزَّوَجَلَّ من باب أولى.

على كل حال المذهب التفويضي الذي يقرر تفويض العلم بمعاني صفات الله عَزَّوَجَلَّ تلزم عليه لوازم باطلة:

منها: الطعن في حكمة الله عَزَّوَجَلَّ حيث أنزل بزعمهم كتابًا وصفه بالهداية والنور، ومع ذلك اشتمل على ما لا يمكن فهمه في أشرف المطالب، وأهمها وهو ما يتعلق بصفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

يلزمهم أيضًا أنَّ القرآن على زعمهم مشتملٌ على كلمات هي أقرب إلى الطلاسم، والكلمات غير المفهومة، مع أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[فصلت:٣].

يلزمهم أيضًا على مذهبهم غَلْقُ باب التدبر، والتفكير في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن مقتضى هذا المذهب أن يقال للناس إياكم، ومحاولة فهم هذه النصوص التي هي أعظم ما في القرآن، وهي نصوص صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إياكم أن تتدبروها مع أن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[ص:٢٩]، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[محمد:٢٤].

وبالتالي يلزمهم أيضا أن نستدرك أيضًا على قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم أعتقد أنه على مذهبهم يلزمهم أن يستدركوا، فيقولوا: يتدارسونه بينهم سوى نصوص الصفات!

يلزم هؤلاء أيضًا إذا قالوا إن ظواهر النصوص تشتمل على ما لا يليق بالله -عز وجل- وهو التشبيه بخلقه؛ الطعن في كتاب الله من حيث كونه كتاب

تعجيز، ظاهره يشتمل على الإضلال، وهذه قضية سبق الرد عليها، والله -عز وجل- يقول: ﴿طه ۞ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾[طه ١:٢].

يلزمهم أيضًا تجهيل الصحابة والتابعين، وأئمة الهدى حيث إنهم أضحوْا كالأُميين؛ الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني؛ فهم يقرؤون أشياء هي أشرف المطالب الشرعية، ولكن يمرون عليها دون فهم، أو عقل، أو تدبر، ولاشك أن في هذا أعظم طعنٍ عليهم؛ والله المستعان!

[قد يستدل من يقول بالتفويض بما جاء عن السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: (أَمِرّوها كما جاءت بلا كيف)، ما الجوابُ عن هذه الشُبهة؟]

بعض الناس يستدل ويتشبَّث بمثل هذه الآثار التي يظن أنها تُقوي ما ذهب إليه من تفويض معاني صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لاشك أنَّ هذا الاستدلال غير صحيح، بل أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والسلف الصالح من بعدهم، كانوا مجانبين لهذه الطريقة تمام المجانبة.

هذا ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وغيره من الصحابة يذكر، ويذكرون عن أنفسهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أن الواحد منهم ما كان يتجاوز عشر آيات من كتاب الله حتى يعلمها، ويعمل بها، ولم يذكروا أنهم استثنوا آيات الصفات.

هذا مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (**عرضت القرآن على ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ثلاث مرات، أُوقفه عند كل آية فيه**)، عند كل آية يُوقِف حبر الأمة، وترجمان القرآن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ويسأله عنه، لم يأتِ أنه استثنى آيات الصفات؛ لم يقل كنت أسأله عنها اللَّهُمَّ إلا آيات الصفات فإني لم أكن أقِف عندها؛ لأنها بالنسبة لنا غير معلومة؛ حاشاه وحاشاهم من ذلك.

إذًا الذين زعموا أن هذا المذهب هو مذهب السلف هم في الحقيقة قد أخطؤوا خطأً عظيمًا، بل السلف الصالح اشتمل كلامهم، واشتملت آثارهم على إثبات جنس الصفات عمومًا، وعلى إثبات آحادها على وجه الخصوص، بل وعلى ذكر المعاني لهذه النصوص، وهذه الصفات، وإقرارها، وإمرارها على ما يليق بالله

سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولم يأتِ عن أحد منهم قط التنبيه على أن هذه النصوص ينبغي أن يُتوقف عن فهمها، أو محاولة إدراك معانيها في ضوء لغة العرب.

أما ما استدلوا به من آثار عن السلف، كما جاء عن الزُهري، وعن سفيان، وعن أحمد وغيرهم رَحِمَهُمُٱللَّهُ أنهم قالوا في نصوص الصفات:(**أَمِرّوها كما جاءت بلا كيف**) أقول: ظنَّ القوم أن إمرارها يعني الإيمان بألفاظٍ جوفاء لا معنى لها؛ هكذا ظنوا، وهذا في الحقيقة زعمٌ باطل، فإنَّ الإمرار المقصود في كلام السلف، إنما هو: الإثبات والإيمان كما جاءت في كتاب الله، وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وكما يليقُ به تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

لاحظ أنه يدل على أن هذا هو مرادهم أنهم كانوا يُردفون قولهم: (**أَمِرّوها**) بالتنبيه على أن هذا الإمرار ينبغي أن يُنزَّه عن التكييف، يقولون: (**أَمِرّوها كما جاءت بلا كيْف**). **السؤال**: من الذي يحتاج إلى التنبيه، والتحذير عن انتفاء التكييف؟ أَهو الذي يفهم المعنى، أو الذي لا يفهم المعنى؟ لاشك أنه الذي يفهم المعنى، يعني: الذي يفهم المعنى هو الذي نقول له أنت أثبت الصفات، وعلمت معناها في أصل الوضع اللغوي، لكن انتبه لا ينتقل بك هذا الأمر إلى درجة أن تُكيِّف أن تعتقد كيفيةً معينةً لصفة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

أما الذي لا يفهم للنص أصلاً معنى فإن تحذيره من التكييف من لغو القول؛ يعني: هو لا يفهم أصلاً معنى لهذه الصفة فكيف نقول له احذر، إياك أن تكيِّف! التكييف في الحقيقة فرعٌ عن فَهْمِ المعنى، من فهم يمكن أن يُكيِّف، أما الذي لا يفهم المعنى فإنه لا يمكن أن يُكيِّف.

إذًا اشتملت عبارتهم رَحِمَهُمُٱللَّهُ في ذاتها على ما يدل على أن السلف رَحِمَهُمُٱللَّهُ لم يكونوا على مذهب المُفوِّضة .

[قد ينازع هؤلاء القوم بأنَّ في القرآن يوجد ما لا يُفهم؛ يستدلون علينا بالحروف المقطَّعة التي تكون في مفتتح بعض السور فيقولون هذه لا معنى لها، إذًا اشتمل القرآن على ما لا يفهم، إذًا كذلك نصوص الصفات لا تُفهم بناء على هذا الإيراد!]

سأجيب بسؤال: هل هذه الحروف، حروف أو كلام؟! حروف.

الحقيقة أن استدلالهم يتجه لو كنا نقرأ: (أَلَمْ)، (حَمْ)، (كٓهيٰعٓصٓ)، وأمثال ذلك، لكن الحقيقة أننا نقرأ هذه الحروف على أنها حروف، والحروف لا معنى لها، يعني: حروف المعجم ألف، باء، تاء، ثاء إلى آخره، هل يقول عاقل ثمة معنى لكل حرف منها؟! بالتأكيد لا؛ لأنها هي نفسها التي يشتمل عليها الكلام، الكلام يشتمل على حروف، والكلام هو: اللفظ المفيد فائدةً يحسُن السكوت عليها، كما يُعرِّف الكلام النحاةُ.

إذًا هذه الحروف المقطعة ليست كلامًا، وأعيد وأكرر؛ القرآن لا يمكن أن يشتمل على كلام لا يُفهم ألبتَّة، أما هذه الحروف فلا معنى لها، ولا يطلب عاقل معنىً لحرف.

يبقى البحث بعد ذلك ما الحكمة من إيراد هذه الحروف المقطعة في مفتتح السور؟، أقول هذا موضوع آخر، وهذا بحث آخر، اجتهد العلماء، وذكروا حِكَمًا، من أقوى ما ذكروا إظهار التحدي والتعجيز للمشركين عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن؛ لأنَّ هذا القرآن مشتملٌ على هذه الأحرف التي يعرفونها، والتي ينطقون بها، فليأتوا بقرآن مثله، أو بعشر سور، أو بسورة واحدة.

على كل حال المقصود أنَّ البحث في سبب ذِكر هذه الحروف، ليس هو البحث عن معنى هذه الحروف، ومن يطلب معانٍ لهذه الحروف فسيكون طلبه غير صحيح؛ لأننا سنقلب عليه السؤال، ونقول له أخبرنا أولاً ما معنى حروف المعجم حرفًا حرفًا، حدِثنا ما معنى: (ألف)؟، وما معنى: (باء)؟، وما معنى: (تاء)؟، وأظن أن أي عاقل إذا قيل له هذا السؤال سيقول هذا السؤال غير وارد؛ لأن هذه الحروف لا معنى لها في ذاتها، وبالتالي سنقول هو جوابنا نفسه.

[قواعد أهل السنة والجماعة في باب أسماء اللّه الحسنى]

قواعد وضوابط أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله عَزَّوَجَلَّ:

القاعدة الأولى: أن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ توقيفية

بمعنى: أنه يجب أن يُوقف فيها على حد ما ورد في كتاب الله، وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ، فلا يُثبت لله عَزَّوَجَلَّ اسمٌ لم يرِد في كتاب الله، ولا في سنة رسوله الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، لا عن طريق العقل، و لا عن طريق القياس، و لا عن طريق الكشف، وأمثال ذلك من هذه الطرق.

والأدلة على هذا كثيرة منها قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾[الأعراف:١٨٠]، لاحظ أنه قال: ﴿ ٱلۡأَسۡمَآءُ ﴾ وأل هنا عَهْدية، ثم قال: ﴿ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾، ومن الذي يستطيع أن يضيف إلى الله عَزَّوَجَلَّ أحسن الأسماء سواه ! «**لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيْت على نفسك**».

يُضاف إلى هذا قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ ﴾ [الأعراف:١٨٠]. فقد نص جماعة من أهل العلم على أنَّ من الإلحاد في أسماء الله تسميته بغير ما ورد في الكتاب والسُّنة.

أضف إلى هذا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ ﴾ [الإسراء:٣٦]، ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا

تَعۡلَمُونَ ﴾[البقرة:١٦٩]،﴿قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾[البقرة:١٤٠].

وأمثالها من النصوص التي تدل على أن الإخبار عن هذه الأمور الغيبية بغير ما ورد قولٌ على الله -عَزَّوَجَلَّ بغير علم، وهو ممنوع.

أضف إلى هذا حديث الهم حيث قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في هذا الحديث: قال : «**سميتَ به نفسك**» وفي هذا يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ فالحديث صريح في أن أسماءه ليست من قِبل الآدميين وتسمياتهم.

[مما هو موجود ومشتهر عند بعض الناس أنهم:
يسمون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأسماء، لم يسمِ بها نفسه بل نجدهم يُعبِّدون لهذه الأسماء مع أنها ربما لم تثبُت لا في الكتاب، ولا في السُّنة، فنريد من باب الفائدة للمستمع أن يعرف طائفة من الأسماء التي لم يثبت عليها دليل].

الحقيقة أن هذا الباب باب واسع والأخطاء فيه كثيرة مما لم يثبُت مما هو مشتهِر، ما يذكرونه من تسمية الله عَزَّوَجَلَّ بـ(الباقي)، كذلك (الحنّان) لم يثبُت في صحيح السنة عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ كذلك التسمية بـ: (الدائم)، ويُعبِّدون يقولون: (عبد الدائم)؛ أيضًا (الرشيد) ولربما عبَّدوا أيضًا فقالوا: (عبد الرشيد)، كذلك (المنتقم) لم يثبت أن الله عَزَّوَجَلَّ قد تسمَّى بهذا الاسم، وإنما هو وصفهُ ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾[السجدة:٢٢]. كذلك (المعين)، كذلك (الساتر)، أو (الستَّار) إنما الصحيح الثابت في السُّنة (الستِّير) كذلك (العاطِي)، كذلك (العال)، يقولون: (عبد العال)، والله عَزَّوَجَلَّ اسمه (المتعال) ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾ [الرعد:٩]،أيضًا من الأسماء التي يذكرونها (الفضيل)، ولربما عبَّدوا قالوا: عبد الفضيل، أيضًا (المقصود) لربما عبَّدوا فقالوا: (عبد المقصود)، كذلك مما يُذكر في هذا المقام اسم (الناصر)، لربما عبَّدوا فقالوا: (عبد النَّاصر)، وعلى كل حال هذا الباب باب واسع.

القاعدة الثانية:

أسماء الله عَزَّوَجَلَّ كلها حُسنى

(حُسنَى) هذه الكلمة مؤنث لكلمة (أحسن)، أي: بالغةٌ في الحسن غايته، والله عَزَّوَجَلَّ قد وصف أسماءه بالحسنى في أربعة مواضع في كتاب الله؛ في سورة الأعراف: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾الأعراف:١٨٠]، كذلك في سورة الإسراء: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[الإسراء:١١٠]، كذلك في سورة طه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه:٨]، كذلك في سورة الحشر: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[الحشر:٢٤].

وجهُ كوْن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ حُسنى يرجع إلى ثلاثة أمور:

أولاً: أنها أحسن الأسماء، وأجلُّها؛ لإنبائِها عن أحسن المعاني وأشرفها، فهي دالة على أحسن، وأعظمِّ، وأقدس مُسمَّى وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الأمر الثاني: أنها متضمنة لمعانيَ شريفة ودالةٌ على أوصاف كاملة له جَلَّ وَعَلَا.

الأمر الثالث: أنها منزّهة عن العيوب، والنَّقص من جميع الوجوه؛ لأجل هذه الأمور الثلاثة كانت أسماء الله عَزَّوَجَلَّ حُسنى.

[كون أسمائه جل جلاله حُسنى؟]

ظهور الحُسن في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ يظهر من وجوهٍ كثيرة، وهذا بابٌ واسع، ومجال رَحْب للمتأمِّل والمُتفكِّر، والمتدبِّر في أسماء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

أولاً: بالنظر إلى معنى كل اسمٍ من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ؛ فكل اسمٍ من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ دالٌّ على أعظم وأحسن ما يكون من المعاني.

أضف إلى هذا: وهذا شيءٌ عجيب يدلك على عظيم حُسن أسماء الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن الاسم الواحد من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ قد يدل على معنيين، أو على ثلاث، أو على أكثر من المعاني؛ وكلها حق؛ وكلها أحسن ما يكون من المعاني.

خذ مثلاً: اسم الله (**العزيز**)، اسم الله (العزيز) يدل على: عزَّة القوة، وعلى عزَّة الامتناع، وعلى عزَّة القهر، والغلبة.

خذ مثلاً: اسم الله (**الحكيم**) يدل على أنه: (ذو حكمة)، ويدل على أنه (المُحكِم)، يعني: المُتقِن ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[السجدة:٧] -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ويدل أيضًا على أنه: (الحاكم) الذي له الحكم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

تأمّل مثلاً اسم (**الجبار**) لله جَلَّوَعَلَا كيف تجد أنه يدل على ثلاث صفات له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، على: صفة الرأفة فهو جابر قلوب المنكسرين، ويدل على أنه القهَّار؛ ويدل أيضًا على معنى العلو، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من قولهم جبّارة للنخلة الـ ـعليا التي فاتت لكل بنانِ

لاحظ أن الاسم الواحد من هذه الأسماء يشتمل على عدَّة معانٍ، كلها أعظم ما يكون في الحُسن.

أضف إلى هذا أمرًا آخر وهو: أن كل اسم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ قد اشتمل على أحسن ما يكون من المعاني، وبإضافة هذا الاسم إلى غيره واقترانه به يزيد الأمر حسنًا فوق حُسن، يعني لو تأملت في اقتران اسم الله (**الغفور**) مع اسم الله (**الرحيم**)؛ و(**العزيز**) مع (**الحكيم**)، و(**العليّ**) مع (**العظيم**)، تجد أنه قد أضحى هناك كمالٌ فوق كمال؛ وحُسنٌ فوق حُسن.

أضف إلى هذا أيضًا الأسماء المتقابلة؛ كيف أنها جمعت كمالاً فوق كمال؛ وحُسنًا فوق حُسن أيضًا يعني لاحظ الأسماء المتقابلة في نحو: (**الأول والآخر**) لاحظ مثلا ذلك في (**الظاهر والباطن**) كيف دلَّ على سَعة عظيمة في الزمان والمكان لله جَلَّوَعَلَا وأنه محيطٌ بكل زمان، ومحيطٌ بكل مكان تَبَارَكَوَتَعَالَى، لاحظ أيضًا هذا المعنى في (**القابض والباسط**) من أسماء الله تَبَارَكَوَتَعَالَى.

إذًا هذا الباب بابٌ عظيم، وبابٌ واسع، والمتأمِّل فيه في الحقيقة يجد أثرًا عظيمًا في قلبه، من حيث زيادة الإيمان، ومن حيث تعظيمه لله تَبَارَكَوَتَعَالَى.

[العبد إذا أقرَّ وعرف أن اللّٰه -تبارك وتعالى- له الأسماء الحُسنى؛ ماذا يُثمر له ذلك؟ ماذا يستفيد من إقراره بأن اللّٰه له الأسماء الحسنى؟!]

لاشك أنه سيستفيد فوائد عظيمة، وسيُثمر له ذلك ثمراتٍ يانعة:

أولاً: أنه سيعلم أن أسماء الله توقيفية؛ لأنه لا يمكن للعقل أن يستقل بمعرفة أحسن ما يكون من المعاني.

الأمر الثاني: دعاؤه جَلَّوَعَلَا بها؛ ولاحظ كيف أن الله عَزَّوَجَلَّ عقَّب الدعاء بها بعد إخبارِه أنها حسنى فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠].

يستفيد فائدة ثالثة وهي: أنه يعتقد تضمنها للصفات؛ فأسماء الله عَزَّوَجَلَّ أعلامٌ وأوصاف، أي أن كل اسم منها قد اشتمل على صفةٍ من الصفات لم تكن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ أسماء جامدة لا تدل على معانٍ.

يستفيد فائدة رابعة وهي: أنه يعلم أن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ ليس منها شيء يتضمن الشر، فاللّٰهُ عَزَّوَجَلَّالشرُ ليس إليه.

القاعدة الثالثة
أسماء الله عَزَّوَجَلَّ غير محصورة للعباد

وهذا مضى في الكلام عن صفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَى، وأن العباد لا يحصرون، ولا يحصون صفات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، كذلك الأمر في أسماء الله، وعلى هذا سلف الأمة، وأئمتها وأدلة ذلك متعددة كما في حديث الهم الذي فيه قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:«**أو استأثرت به في علم الغيب عندك**».

أيضًا حديث «مسلم»: «**لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**» فالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أخبر أنه لا يُحصي ثناءً عليه، ولو أحصى أسماءه لأحصى صفاته، وبالتالي يكون مُحصيًا ثناءً عليه جَلَّوَعَلَا؛ لأن صفاته إنما يُعبر عنها أسماؤه.

أيضًا حديث الشفاعة، وقد مرَّ أيضًا؛ «**فيُفتح علي بمحامد بما لا أحسنه الآن**».

ناهيك عن أن الأمر الواقع في كتاب الله، وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يدل على أنها كثيرة، وغير محصورة في عدد معين كما ذهب إلى هذا بعضهم من أن أسماء اللهعَزَّوَجَلَّ محصورة في التسعة والتسعين، أو في غيرها من الأعداد، بعضهم قال: ثلاثمائة، وبعضهم قال ألفًا، وبعضهم قال أكثر من ذلك، وعلى كل حال ليس على هذا دليل واضح يحصر أسماء الله تَبَارَكَوَتَعَالَى.

[قد يُتساءل عن الحديث الصحيح «إنّ لله تسعةً وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنةَ»، فهل هذا فيه تحديد وحصر؟!]

الحديث ثابت في «الصحيحين»، ولكنه لا يدل على أن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ جميعًا هي تسعة وتسعين؛ إنَّما معنى الحديث هو: أن جملة (من أحصاها دخل الجنة) صفةٌ لا جملةٌ مستقلة، يعني: (إنّ لله تسعةً وتسعين اسمًا) صفتُها شأنها أن من أحصاها دخل الجنةَ، وليس المقصود أن ليس لله عَزَّوَجَلَّ أكثر من هذه الأسماء؛ لأن الموجود في كتاب الله، وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قطعًا هو أكثر من هذه التسعة والتسعين، والشأن في هذا الحديث كالشأن في قول القائل: (عندي مائةُ درهم أعددتُها للصدقة)، هذا لا يدل بوجه على أنه لا يملك إلا هذه المائة من الدراهم.

[لكن هذه التسعة والتسعون اسمًا،
هل جاء، وهل صحّ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن عيَّنها؟!
فيستطيع الإنسان أن يحفظ هذه الأسماء المعيَّنة لينال هذا الثواب ؟]

تلاحظ أنَّ كثيرًا من النَّاس لربما يحتفظون بنسخة من هذه الأسماء المطبوعة، أو يعلِّقونها في البيوت باعتبار أنها من كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا عند التحقيق؛ ليس بصحيح.

فسرد هذه التسعة والتسعين اسمًا المشهورة عند الناس، رُوي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ثلاثة طرق، ولكن لم يصحّ منها شيءٌ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعني: كلها رُويت من حديث أبي هريرة؛ جاءت من طريق عبد العزيز بن الحصين، وذلك عند «الحاكم»، وجاءت من طريق عبد الملك بن محمد الصنعاني عند «ابن ماجه»، وجاءت أيضًا من طريق الوليد بن مسلم، وهذه أشهر الطرق -طريق الوليد- عند «الترمذي»، وغيره، ولكن كل هذه الروايات ليست صحيحة، والتحقيق: أنها إدراج من بعض الرواة كما نصَّ على هذا البيهقي، والبغوي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، بل نقل رَحِمَهُ اللَّهُ اتفاق أهل المعرفة بالحديث على أنها ليست من كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما هي إدراج من بعض الرواة؛ وهكذا تتابع أهل العلم على تضعيف هذا الحديث كالترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ، وابن حزم، وابن كثير، وابن حجر، وغيرهم من أهل العلم، كلهم ضعَّفوا هذه الروايات التي فيها تحديد هذه الأسماء التسعة والتسعين، والله عَزَّوَجَلَّ أعلم.

[«إنَّ للّٰهِ تسعةً وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنةَ»
ما المراد بالإحصاء في هذا الحديث؟]

اختلف أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في معنى الإحصاء الوارد في الحديث، فكثيرٌ من أهل العلم ذهبوا إلى أن الإحصاء هو: الحفظ؛ كما في قول الله جَلَّوَعَلَا ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدٗا﴾[الجن:٢٨]، وهذا الذي ذهب إليه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجماعة من أهل العلم.

قيل إنَّ الإحصاء بمعنى :الإطاقة؛ كما في قوله جَلَّوَعَلَا:﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾[المزمل:٢٠]، يعني: العمل بمقتضى هذه الصفات.

قيل: بمعنى المعرفة، والإحاطة بمعناها من الحصاة، وهي العقل والمعرفة.

الأقرب والله أعلم أن كل هذه المعاني مراد وداخل في الإحصاء، ويعجبني في هذا ما قال المفسِّر ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره قال: (**معنى: أحصاها عدَّها، وحفظها، ويتضمن ذلك الإيمان بها، والتعظيم لها، والرغبة فيها، والاعتبار بمعانيها**).

القاعدة الرابعة:
الإيمان بأسماء الله عَزَّوَجَلَّ
يتضمن أمورًا:

أولاً: إثبات الاسم لله واعتقاد أنه مُتَسَمٍ به.

ثانياً: الإيمان بما دلَّ عليه الاسم من الصفة.

ثالثاً: الإيمان بما يتعلق بالاسم من الآثار إن كان الوصف في هذا الاسم متعدِّيًا؛ يعني: مثال ذلك (**الغفور**) يدل على: أن اسم الله (الغفور)، وأن صفته (المغفرة)، وأنه يغفر ذنوب عباده ويتجاوز عن سيئاتهم -سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

على كل حال القواعد كثيرة، ولعلي أختم بـقاعدةٍ أخيرة، وهي ما أشرت إليه سابقًا من أن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ أعلامٌ وأوصاف، وهي بالاعتبار الأول: مترادفة، وبالاعتبار الثاني: متباينة. يعني: أنَّ أسماء الله عَزَّوَجَلَّ باعتبارها أعلامًا دالةً على ذات الله عَزَّوَجَلَّ فإنَّها في هذه الحالة مترادفة لا فرق فيها بين اسم، واسم؛ فاسم الله (**الغفور**)، و(**الرحيم**)، و(**الكريم**)، والعزيز كلها دالةٌ على مسمًى واحد، وهو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

أمَّا بالنَّظر إلى كون هذه الأسماء أوصافًا؛ يعني: تشتمل على أوصاف فهي متباينة، وبالتالي فاسم الله (**العزيز**) يدل على ما لا يدل عليه اسم الله (**الغفور**)، مالا يدل عليه اسم الله (**الجبار**) وهكذا.

[ماذا نستفيد من معرفة هذه القاعدة الأخيرة؟]

نستفيد من هذه القاعدة فوائد كثيرة أهمها فائدتان:

الأولى: معرفة وجه كوْن أسماء الله حسنى، وبالتالي تمييز هذه الأسماء عن الأسماء الجامدة؛ كـ(الدهر) مثلاً فالله عَزَّوَجَلَّ لا يُسمى به.

فائدة ثانية: وهي مراعاة التباين في الوصفية في تعبُّدنا لله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه، وفي دعائنا له، فينبغي أن نلاحظ هذا الأمر فإذا كنا طالبين للمغفرة، فلندعُ الله عَزَّوَجَلَّ باسمه (**الغفور**)، وإذا كنا طالبين للرحمة فلندعُه باسم (**الرحيم**)، أو (**الرحمن**)، وهكذا في سائر الأسماء والله عَزَّوَجَلَّ أعلم.